أشبه الناس خلقاً برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم



بلى اذن الحسين (عليه السلام) لولده باقتحام الشهادة . ولكن طريقة اذنه كانت فريدة ..

رفع بصره الى السماء . وقال : اللهم إشهد على هؤلاء القوم . فقد برز اليهم غلام اشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك ، وكنا إذا اشتقنا الى نبيك نظرنا الى وجهه ، اللهم امنعهم بركات الأرض ، وفرقهم تفريقاً ، ومزقهم تمزيقاً ، واجعلهم طرائق قدداً ، ولا ترض الولاة عنهم أبداً ، فانهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا .

ثم صاح الحسين بعمر بن سعد : مالك ؟ قطع الله رحمك ولا بارك الله لك فى أمرك ، وسلّط عليك من يذبحك بعدى على فراشك كما قطعت رحمى ولم تحفظ قرابتى من رسول الله ثم رفع الحسين صوته وتلا : " إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم " (1) وهكذا أعطى الامام وساماً عالياً لهذا المجاهد الأمثل عند انطلاقته فى عملية استشهادية فريدة .ولم يفه الامام المعصوم (عليه السلام) بحرف باطلاً حاشا لله . إنه مصباح الهدى وسفينة نجاة كما كتب على ساق العرش ، فكيف ينطق بالباطل .

فى واقعة مشابهة عندما برز الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الى عمر بن ود العامرى فى معركة الخندق . هناك ايضاً اعطى النبى له وساماً عظيماً حينما قال : برز الايمان كلّه الى الكفر كلّه ..

منذ القديم كان الناس يعرفون بفطرتهم امكانية انتقال الصفات الجسدية والنفسية من الأب لإبنه او الجد لحفيده . ولكنّ البحوث العلمية الحديثة عمقت عندنا هذه المعرفة ، حينما كشفت لنا عن الجينات المورثة ومدى اثرها فى نقل الصفات من جيل لآخر . وهكذا كان على الأكبر (عليه السلام) أشبه الناس برسول ا . حيث تجلت فيه شمائل الرسول الكريمة . من نبرات صوته الى ملامح وجهه الى طريقة مشيته . حتى انه نقل أن يهودياً رأى فى المنام رسول ا (صلى ا عليه وآله) فقرر ان يعتنق الدين الاسلامى . فجاء الى الامام الحسين (عليه السلام) فادعى رؤية رسول ا . فسأله ان كان يعرفه لو شاهده . قال : بلى . فطلب علياً الأكبر . فلما رآه استغرق فى العجب وقال كأنه هو .

كانت ولا تزال الأمة الاسلامية بأشد ما تكون من الشوق الى رسول ا . حتى أن من الأدعية الشائعة حتى الان بين المؤمنين الدعوة لبعضهم البعض برؤية وجه رسول ا . وهكذا كان يتسلى المسلمون فى ذلك العهد حيث ملامح الرسول لم تزل معروفة عند الكثير ممن رآه او سمع كامل وصفه ممن رآه من اصحاب الرسول ، كان يتسلى المسلمون بالنظر الى على الأكبر .

ولكن هذه الصورة المشابهة جسدياً ونفسياً للرسول أصبحت مادة ثمينة للتربية المثلى . فاذا كانت صورة على الأكبر شبيهة بالنبى ، فإن نفسه أشد ما تكون مناسبة لتلقى اخلاق الرسول ايضاً .. انها ذهبة خالصة ، صاغتها يد الولاية . يد الامام الحسين سبط النبى فصارت أشبه الناس خلقاً برسول ا (صلى ا عليه وآله) وأنها شهادة عظيمة وعظيمة جداً ان يمتثل شخص (من غير الأئمة) صفات الرسول . كان الرسول هو القرآن بكل جماله وبهاءه وعظمته وروعته . ولقد وصفه ا سبحانه بأنه على خلق عظيم .

وقد سرى حتى اليوم عطر خلقه فى حقول الايمان حتى انتشى به كل من أراد كمالاً او رام جمالاً . باخلاقه العطرة (صلى ا عليه وآله) فتح القلوب ، وملك الأفئدة حتى قلوب اعداءه ..

وعلى الأكبر (عليه السلام) تمثل تلك الأخلاق بأجلى صورها . فمن طلاقة الوجه ، الى أدب المنطق ، الى استقامة السلوك ، الى العفو والصفح ، الى الصبر والزهد، الى التقوى واليقين ، الى الشجاعة والتوكل ، وبالتالى الى الخلق الذى هو أصل كل خلق فاضل وجذركل سمو أى الصلة با سبحانه .

إن بلوغ شخص درجة عالية من العلم ،كمال ، لاشك فى اهميته وصعوبته . ولكن بلوغ انسان الى درجة عالية من الأخلاق وبهذا المستوى الأسمى من مجاهدة النفس واتباع الوحى ، وتمثل الرسالة .. انها كمال لايسمو اليه كمال .. ولقد بلغه على الأكبر بشهادة الامام الحسين (عليه السلام).

وانا وأنت . كم نخسر لو ضيعنا فرصة العمر الوحيدة ولما نتمثل خلق الرسول ولو بصورة جزئية . إن المال والجاه والزخارف الدنيوية كلها تصحبنا فى أحسن الفروض الى بوابة الآخرة ، أى باب القبر . بينما الخلق الفاضل يصحبنا ليكون عوناً عند سكرات الموت ، وأنيساً فى بيت القبر ، وأمناً عند هول المطلع ، ونوراً فى القيامة ، وثقلاً فى الميزان عند الحساب ، ودرجة عالية فى الجنان . على أنه فى الدنيا نور وذكر حسن وسعادة .

ولأن على الأكبر (عليه السلام) كان قمة فى الخلق المحمدى فقد شهد بفضله الناس وفرض شخصيته حتى علـــى أعداءه . فهذا معاوية يزعم إن اولى الناس بالخلافـة إذا تجاوزت بنى أمية انما هو على الأكبر (2) .

وكلام معاوية لا يهمنا إلا بقدر انه يعكس مدى انتشار ذكر على الأكبر (عليه السلام) العطر فى الآفاق حتى اضطر عدوه وعدو البيت الهاشمى الى الاعتراف بفضله .

_____

(1) بحار الأنوار / ج 45 / ص 43 .

(2)) بحار الأنوار / ج 45 / ص 45 .

المصدر: موقع العتبة الرضوية المقدسة